دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الأيديولوجية السياسية : ماهيتها ، دورها ، علاقتها بالحقائق والقيم
المصدر:	مجلة مصر المعاصرة
الناشر:	الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع
المؤلف الرئيسي:	ربيع، محمد محمود
المجلد/العدد:	مج 69, ع 374
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1978
الشهر:	اكتوبر
الصفحات:	107 - 122
رقم MD:	82219
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	فلسفة السياسة، العلوم السياسية، القيم، النظم السياسية، المذاهب السياسية، التنظيمات السياسية، الحركات القومية، المنظمات الدولية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/82219

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأيديولوجيـــة السياســـية
ماهيتها . دورها . علاقتها بالحقائق والقيم

دكتور محمد محمود ربيع

من الفروض المثيرة للجدل القول بأن الصراع الأيديولوجي سمة بارزة من سمات عالمنا المعاصر . وتتضاءل امكانية الاتفاق على صحة هذا الفرض نظرا لأن الكثيرين ينظرون اليه من منظور ايديولوجي . الا أن هذا الفرض ليس هو الموضوع الرئيسي لبحثنا . وانما أردنا القول بأن النظر الى ذلك الصراع كمجرد نزاع أو مواجهة بين أفكار ومعتقدات مختلفة هو اتجاه يجانبه الصواب ، لأن تلك الأفكار والمعتقـــدات هي بدورها تعبير عن تصـــورات ورؤى ومصالح متعارضة(١) . ونظرا لما هو معروف من تعذر التوفيق بين مصالح الدول الكبرى أو بينها وبين الدول النامية ، فاننا نفترض أن تلك الأيديولوجيات لازالت ـــ خلافا لما يراه البعض ـــ تمارس تأثيرات كبيرة على النظم السياسية وعلى ما تتبناه من سياسات داخلية وخارجية .

ان أول ما تحتاجه الدراسة العلمية للأيديولوجية السياسية هو توفير أقصى قدر ممكن من الوضوح لتجاوز الضبابية المحيطة بها والناتجة جزئيا من كثرة المدارس والتيارات التى عالجتها . لهذا ، لن نتنـــاول فى هذا البحث ايديولوجية بعينها بقدر ما سنركز على بعض النقاط الأساسية المرتبطـــة بدراستها . من تلك النقاط : ماهية الأيديولوجية ، ودورها ، والمصـــاعب التى تكتنف الاستعانة بها ، والتحفظات التى ترد عليها فى الاستخدامات العلمية ، وعلاقتهـــا بمشكلة الموضوعية وبالجـــدول الذى لا يهـــدأ حول الحقائق والقيم .

١ ـــ جذور ذلك المفهوم :

يعتبر اصطلاح الأيديولوجية اصطلاحا حديثا نسبيا بدأ استعماله منذ أقل من قرنين . وكان أول من ابتكره هو المفكر الفرنسى انطوان دوتراسى(٢)

---

(١) محمد محمود ربيع ، مناهج البحث فى السياسة ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ٢٣١ .

(٢) Antoine Louis Claude Destutt de Tracy, 'Mémoire sur la faculté de penser', Mémoires de l'Institut National des Sciences et des Arts pour l'an IV de la République : Sciences morales et politiques, tome 1er, Paris, Thermidor an IV, p. 324, cited by, H.M. Drucker, The Political Uses of Ideology, London 1974, p. 3.

فى مايو آيار من عام ١٧٩٧ ليدشن به علما جديدا أسماه علم الأفكار "Science of ideas" ، وليشير فى الوقت نفسه الى أنه وان كان الاصطلاح جديدا فان لذلك العلم جذور قديمة ، أما لماذا اختار مصطلحا جديدا لهدا الغرض فيرجع فى رأيه الى ضرورة وفائدة التفرقة بين « العلم الجديد » وبين « ما وراء الطبيعة » .

وقد يكون التذكير مجديا بأن المرحلة التى عاصرها دوتراسى كانت مرحلة الغليان التى أعقبت الثورة الفرنسية ، وانه كان واحدا ممن حاولوا القيام بعمل ثورى مماثل فى مجال الفكر والعلوم انطلاقا من مقولته بأن المفاهيم الفلسفية التى سادت قبل الثورة الفرنسية — ولعله قصد الفترة المدرسية من العصر الوسيط — كانت خاطئة لاستنادها الى ما وراء الطبيعة ، وأن بناء النظام الاجتماعى الجديد على حقائق العلم كفيل بتفادى الأخطاء الماضية . قد يتفق هذا مع ما ذهب اليه أحد المؤرخين الفرنسيين(٣) من اننا قد نجد صلة أقوى بين أفكار عصرين متباعدين مما قد نجده بين أفكار حقبتين متقاربتين تاريخيا رغم انه كان على حق أيضا فى تحذيره من انه ليست هناك مذاهب قديمة بشكل مطلق ، ولا مذاهب جديدة تماما .

على كل حال ، لابد من التنويه بفضل المفكرين العظام الذين ساهموا فى اثراء الفلسفة الانسانية ومهدوا للثورة الفرنسية من أمثال فرانسيز بيكون (١٥٦١ — ١٦٢٦) ورينيه ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠) وجون لوك (١٦٣٢ — ١٧١٤) ، الذين أثروا على من أصبحوا يسمون «الأيديولوجيون» Idéologues أى المؤمنين بقوة الأفكار . فقد تبين أن هؤلاء الأخيرين أعجبوا بصفة خاصة بالنقد الحاد الذى وجهه ديكارت للفلاسفة المدرسيين، وباقدام بيكون على تحطيم أوثانهم التى كبلوا بها فكر الانسان ، وباسهام لوك الذى اعتبروه منشىء أعظم ثورة فلسفية وأكثرها فائدة ، كما أبدوا اعجابهم بكتابه الذى « أوضح مدى وحدود معرفتنا وجدد الادراك الانسانى كلية »(٤) .

٢ — مصطلحات وتعريفات أولية :

لكن الحديث عن الأيديولوجية السياسية لابد وأن يؤدى الى استخدام مصطلحات أخرى مثل الأفكار والفلسفات والنظريات والمذاهب السياسية مما يحتم ضرورة التمييز بينها وشرح العلاقات التى تربطها ببعضها توخيا للوضوح الذى استهدفناه من كتابة هذه المقدمة العامة .

---

(٣) A. Sudre, Histoire de la souveraineté ou tableau des institutions et des doctrines comparées de l'antiquité, Paris 1864, cité par : Marcel Prélot, La Science Politique, Que sais-je ?, Paris 1963, pp. 74, 75.

(٤) C.H. van Duzer, Contributions of the Ideologues to French Revolutionar, Thought ; Baltimore 1935, p. 17 ; L. Lévy-Bruhl, History of Modern Philosophy in France, London 1899, p. 272, quoted by, H. Drucker, The Political Uses of Ideology, op. cit., pp. 4, 5.

فالفكرة السياسية political idea تصور عقلى لظاهرة سياسية أو شيء سياسى بمعنى حصول صورة الظاهرة أو الشيء فى الذهن. وقد عرف الانسان منذ قيام حضاراته الأولى أفكارا سياسية متعددة كانت تمثل الأوضاع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والدينية التى كانت سائدة فى تلك الحضارات .

فى مرتبة أعلى من الفكرة السياسية تأتى الفلسفة السياسية Political philosophy. والفلسفة بصفة عامة تعنى تلك الرؤية المتعمقة أو النظرة الشاملة أو مجموعة النظرات الشاملة التى تحاول تفسير العالم والطبيعة والمجتمع والانسان . بالتالى ، تكون الفلسفة السياسية هى المعالجة المنهجية من جانب الفيلسوف لتلك النظرات والأفكار السياسية التى تدور حول تلك المسميات .

والفلسفة السياسية قد تنسب لموضوعها أو للطبيعة الغالبة عليها فيقال مثلا فلسفة سياسية مثالية أو مادية أو توفيقية أو ليبرالية أو اشتراكية .. الخ . كما قد تنسب الفلسفة السياسية لاسم صاحبها أو للمفاهيم او المبادىء التى يعالجها فيها كما نجد مثلا فى مبدأ الخير العام فى كتابات أرسطو ، ومفهوم العصبية لدى ابن خلدون ، ومبدأ السيادة لدى جان بودان أو مبدأ الحرية لدى جون لوك(٥) .

اما النظرية السياسية فهى من وجهة النظر العلمية أرقى تلك المصطلحات المستخدمة قاطبة من حيث أنها أمل كل باحث فى محاولته للتدليل على صحة مجموعة من الفروض التى توصل اليها أو توصل اليها غيره ، والنظرية كما يراها الفلاسفة هى قضية تثبت ببرهان ، وهى تركيب عقلى مؤلف من تصورات منسقة تهدف الى ربط النتائج بالمبادىء .

الا أن هناك فرق بين الفلسفة السياسية والنظرية السياسية يتجلى فى محاولة توفير أعلى قدر ممكن من الحجية لهذه الأخيرة بحيث تصبح نظرية سياسية علمية قامت البراهين على صحتها مما يؤهلها للوقوف على قدم المساواة مع النظريات العلمية الأخرى فى حقول الرياضة والطبيعة على سبيل المثال .

ويرى بعض علماء السياسة المتأثرين بالفلسفات الوضعية والوضعية المنطقية أن صعوبة التحقق من صحة المقولات والظواهر السياسية عن طريق التجارب الحسية يجعل النظرية السياسية فلسفية أكثر منها علمية ، وهذه نظرة متطرفة سنتناولها بالشرح والتعليق فيما بعد ، ويكفى لدحض ذلك مؤقتا الكشف عن العلاقة الجدلية بين النظريات السياسية والواقع ، اذ أنها تنبثق من ذلك الواقع ثم تعود لتؤثر فيه .

---

(٥) جميل صليبا ، المعجم الفلسفى ، بيروت ١٩٧٣ ، المجلد الثانى ، ص ١٥٧ ، ١٦٠ ، حسن صعب ، علم السياسة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

« فالنظرية الافلاطونية حول تعاقب نظم الحكم مأخوذة من التجربة السياسية اليونانية ، ونظرية لوك حول حقوق الانسان الطبيعية مأخوذة من التجربة الثورية البيوريتانية ، ونظرية مونتسكيو حـــول فصـــل السلطات مأخوذة من ملاحظته للنظام السياسى الانجليزى . وقد انتبه لينين لهـــذه العلاقة الضرورية بين النظرية والواقع وأكد أنه لا ثورة بدون نظرية ثورية »(٦) .

يلتزم عالم آخر بالتصنيفات التى أرساها علماء السياسة عام ١٩٤٨ فى اطار اليونسكو فيقول ان المعنى الأول للنظرية السياسية هو دراســـة تاريخ الأفكار السياسية والظروف التى انضجتها وتأثير تلك الأفكار على الممارسة السياسية . والمعنى الثانى هو الدراســـة المنهجية للمؤسسات وللسلوك السياسى فى عالمنا المعاصر مع التركيز بصفة خاصة على الابتعاد عن أية أحكام أخلاقية أو قيم معيارية ، ومحاولة التوصل الى أحكام عامة بواسطة طرق ومناهج جمع المعلومات والتحقق من صحتها بالبرهان وليس بالحدس ، ثم يستطرد ليوضح خطـــأ وضـــع المعنيين فى مواجهة بعضهما البعض نظرا لأن كلا منهما يحوى عناصر من الآخر(٧) .

يختلف المذهب السياسى Political doctrine عما سبق بسبب الموقف الذى يتخذه الانسان نفسه ، فقد يتخذ انسان ما من أية فلسفة أو نظرية عقيدة له بمعنى أن يؤمن بها ولا يرضى بمناقشتها عقلانيا أو طبقـــا لمنهج علمى ، عندئذ تصبح تلك الفلسفة أو النظرية بمثابة مذهب بالنسبة له يسعى الى اقناع الآخرين بصحته والعمل بموجبه أو وفقا لتعاليمه ، وفى هذا يقول العالم والفيلسوف كلود برنارد :

« ان النظرية هى الفرض الاختبارى الذى خضع لرقابة العقل وللنقد التجريبى ... ولا تظل النظرية صحيحة الا اذا تعدلت على ضوء التقـــدم العلمى ونقدت نقدا اختباريا على هدى ما يظهر من وقائع جديدة ، أما اذا اعتبرت النظرية كاملة ، ووضـــعت فوق الاختبـــار العلمى فانها تصـــبح حينئذ مذهبا »(٨) .

يعرف المذهب بأنه مجموعة من الحقائق المنظمة والمتماسكة والمتصلة غالبا بالسلوك ، لهـــذا فهى أقرب الى الأيديولوجية منه الى الفلســـفة أو النظرية ، واذا عقدنا مقارنة بين المصطلحات السابقة لوجدنا أن الفكرة

---

(٦) المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، جميل صليبا ، المعجم الفلسفى ، مصدر سابق ، ص ٤٧٧ ،

(٧) Arnold Brecht, Political Theory (The Foundations of Twentieth Century Political Thought), Princeton, New Jersey 1959, p. 17.

Andrew Hacker, Political Theory (Philosophy, Ideology, Science), New York and Chicago 1961, pp. vii, viii.

(٨) Claude Bernard. Introduction à la médecine expérimentale, Paris 898, p. 349 ;

استشهد به د. حسن صعب ، علم السياسة ، مرجع سابق ، ص ٥٠ — ٥٢ .

هى اكثرها بساطة وشمولا ، والفلسفة هى فكرة منهجية ، والنظرية فكرة تحولت الى فرض علمى ، بينما المذهب فكرة اصبحت عقيدة .

٣ ــ ما هية الأيديولوجية السياسية :

تعتبر الفترة التى أعقبت القرن السابع عشر فى أوروبا (والمسمى بعصر العقل) والى انتهاء القرن التاسع عشر من أخصب الفترات الفكرية التى عرفها تاريخ البشرية وذلك بسبب كثرة ما ظهر فيها من نظريات وتصورات حول طبيعة الانسان وتفسير علاقاته بالأوضاع الاجتماعية آنذاك ومستقبلا . وقد ساعد على ذلك التنوع والخصوبة غنى المرحلة بالثورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التىاعقبت خروج أوروبا من ظلام الاقطاع فى العصر الوسيط ودخولها فى النظام الراسمالى الصناعى وما أدى اليه من ارتفاع وعى الانسان بالوسائل المتعددة والطرق البديلة التى يمكن أن يسلكها فى تنظيمه للمجتمع وتغيير معتقداته وانتماءاته الفلسفية والدينية والسياسية ، لهذا كان طبيعيا أن تسمى الفترة كلها بعصر الأيديولوجيا وأن يصل الأمر بالبعض الى اعتبار القرن الثامن عشر المعروف بعصر التنوير داخلا فى تلك الفترة أيضا .

نتيجة لكل ذلك ، كثرت بشكل ملحوظ التعريفات حول ماهية الأيديولوجية ، وتنوعت الاجتهادات تبعا لحقل اهتمامات الكاتب فظهرت تعريفات تركز على الجانب الفلسفى وأخرى تهتم بالمضامين الاجتماعية وثالثة بالأبعاد النفسية ، كما تلونت نفس التعريفات وفقا لعقيدة المفكرين ونظرتهم للحياة والانسان وموقعهم من القيم المادية أو الروحية بحيث صار من المتعذر وربما من المستحيل أن يتفق المفكرون حول ماهية الأيديولوجية السياسية وما اذا كانت ضارة أم نافعة والأسباب الداعية الى تغليب رأى أو موقف على آخر ، « فأفكارنا العامة ومفاهيمنا المتعددة حول ماهية الأيديولوجية يناسب كل منها أيديولوجيتنا نحن ، بمعنى اننا نختلف لأننا ننظر الى الأيديولوجية من وجهة نظر أيديولوجية ، أى نبحث فيها من منطلق أفكارنا كمحافظين أو ليبراليين أو ماركسيين »(٩) .

منذ أيام الأيديولوجيين الفرنسيين الذين أشرنا اليهم أعلاه فان التعريف المتفق عليه بشكل واسع هو أن الأيديولوجية منظومة من الأفكار، ويضيف قاموس وبستر الانكليزى أن تلك المنظومة من الأفكار « تعنى بالظواهر ، خاصة تلك التى تتعلق بالحياة الاجتماعية ، وبأسلوب التفكير الذى يميز الفرد أو الطبقة » . وينتقد أحد الكتاب(١٠) هذا التعريف بسبب ما فيه من خلط ، فقسمه الأول يوحى بأن الأيديولوجية نظرية عن الظواهر الاجتماعية بشكل خاص وبالتالى يميل الى اقناع العقل بأنها قضايا

(٩) H. Drucker, The Political Uses of Ideology, op. cit., p. XII.

(١٠) Henry D. Aiken, The Age of Ideology (The 19th Century Philosophers), New York, 1956, p. 14.

موضوعية تصف شيئا موجودا فى هذا العالم ، أما القســم الثــانى من التعريف فلا يوحى بأن الأيديولوجية نظرية وانما أسلوب للتفكير أو نسق من المواقف وبذلك تتسم بالذاتية وتعبر عن الأسلوب الذى ينظر به الفرد أو الجماعة الى الواقع .

يتفق مع هذا التعريف ويختلف معه فى نفس الوقت ما ذهب اليــه مفكر آخر(١١) من أن الأيديولوجية السياسية هى « نظام متسق من الأفكار والمعتقدات يفسر موقف الانسان من المجتمع ويؤدى الى اعتماد نسق من السلوك يجسم تلك الأفكار والمعتقدات ويتفق معهــا » . والتشــابه مع التعريف السابق واضح ، أما الاختلاف فيبدو من أن هذا الأخير أبرز الجانب السلوكى وركز على عامل الفعل الذى يقوم به الانسان تجسيدا لمــا يؤمن به من أفكار ومعتقدات .

ثم نلاحظ اختلافا كميا بين ما ســبق وبين مفهــوم ثالث »(١٢) يرتب الأولويات الواجب الأخذ بها عنــد بحث ماهية الأيديولوجية فيقول انه من الناحية الواقعيــة « يجب النظر الى الأيديولوجية على أنها تشــتمل على معتقدات فى المرتبة الأولى ، وعلى أفكار فى المرتبــة الثانيــة . ان التمييز الأساسى بينهما هو أن الأفكار يمكن أن تخضع للبحث العلمى (مثل الاختبار والتحقق من مدى صحتها) ، وليس كذلك العقائد » .

ويحدد صاحب ذلك التفسير أبعادا خمســة لمفهوم الأيديولوجية يبدو متأثرا فى الثلاثة الأولى منهــا حسب قوله بمفهــوم تالكوت بارســونز عن الثقافة ، ويمكن تلخيص تلك الأبعاد فيما يلى :

- البعد الادراكى : المعرفة والعقيدة
- البعد الاثارى : المشاعر والعواطف
- البعد التقييمى : المعايير والقيم
- البعد المنهجى : الخطط والبرامج
- الأساس الاجتماعى : التنظيمات والجماعات المشاركة

ويهتم عالم آخر(١٣) بالتفرقة بين الأيديولوجيات المختلفــة عن طريق التمييز بين أربعة أوجه يعتبرها هامة بالنسبة لكل منها وهى : مصادرها التى استقيت منها ، وظائفها وخاصة تلك المتعلقة بمدى سيطرتها وشرعيتها،

---

(١١) Karl Loewenstein, «L'Influence des idéologies sur les changements politiques», Bulletin International des Sciences Sociales, 1953, p. 55 ; أورد النص د. حسن صعب ، علم السياسة ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(١٢) Mustafa Rejai, ed., Decline of Ideology, Chicago/New York 1971, p. 3.

(١٣) Roy C. Macridis, The Study of Comparative Government, New York 1954, cited by : M. Rejai, Decline of Ideology, op. cit., p. 12.

انتشارها ، علاقتها بتنظيم السلطة السياسية ، ولا شك أن مثل تلك المقارنات تفيدنا فائدة كبيرة فى التعرف على ماهية كل منها مما يسهل عملية تصنيفها وفق معايير يمكن استنباطها .

هذا وقد سبق أن ذكرنا(١٤) أن معانى الأيديولوجية وماهيتها يمكن فهمها اذا أدخلنا فى اعتبارنا أن للبشر معتقدات حول ما يمكن اعتباره حقائق وقيم ، فهم يعتقدون أن بعض التعبيرات أو الفروض تمثل أوصافا صادقة للواقع الحى ، كما يعتقدون أن هناك تعبيرات وفروض أخرى تشير الى ماهو حسن وحقيقى وعادل ، أى أنهم يحتفظون بمعتقدات حول ما هو قائم فعلا، وحول ما يجب أن يكون .

فمن ناحية ، لا يمكن تسمية المعتقدات التى تقتصر على الواقع بالأيديولوجية وهو ما يعنى أن تلك الأخيرة لا يمكن أن تكون وصفية خالصة ، من ناحية أخرى ، يجب أن يشتمل البناء الفكرى على معتقدات تدور حول قيم حتى يمكن القول بوجود أيديولوجية ، وهو ما يعنى فى هذه الحالة الثانية أن الأيديولوجيات معيارية دائما ــ على الأقل فى جانب منها ــ اى أنها تعكس أو توحى بمفاهيم حول « ما يجب أن يكون »(١٥) .

من هذا المنطلق ، يطلق اصطلاح أيديولوجية على أية مجموعة من المعتقدات تدور حول « ما يجب أن يكون » بشرط أن تكون تلك المعتقدات متماسكة ومترابطة منطقيا ، وبالتالى فانه يمكن اطلاق هذا الاصطلاح على أى بناء فكرى ذو صفة معيارية ، هذا ويرتبط الايمان بمجموعة من القيم عادة بالاستعداد لتقبل بعض فروض وصفية ذات طابع نسبى .

فهؤلاء الذين يؤمنون بالأيديولوجية الليبرالية مثلا يؤكدون ــ من منطلق أنها قيمة من القيم ــ أن شخصية الانسان جديرة بالتبجيل وأن كرامته يجب أن تصان وتحترم . فى نفس الوقت يعتقدون أن البشر قادرون من الناحية الواقعية على حكم أنفسهم ديمقراطيا ، وأن الحكومة الديمقراطية غالبا ما تحترم الفرد وتحافظ على كرامته . بمعنى آخر فان قبول الناس الخضوع لنظام ديمقراطى مشروط بتحقيق قيمة من القيم .

أما الناقدون للأيديولوجية الليبرالية من كل المشارب فينتقدون القيم الرأسمالية للحكم على أساس أن العبرة بالأفعال وليس بالأقوال . اذ ما فائدة النصوص الدستورية أو الشعارات التى تتحدث عن احترام الفرد وصون كرامته اذا لم تكفل حرية التعبير عن الرأى وفقا للمفهوم الليبرالى . ان الاغتيالات التى يتعرض لها زعماء حركة الحقوق المدنية فى الولايات المتحدة على سبيل المثال ، والمعاملة التى لقيها المعارضون لحرب

(١٤) محمد محمود ربيع ، مناهج البحث فى السياسة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ ــ ٢٣١ .
(١٥) Vernon van Dyke, Political Science (A Philosophical Analysis), London 1960, pp. 172, 173.

فيتنام لا يمكن بحال أن تنهض كأدلة على احترام النظم السياسية الليبرالية للفرد أو صيانة كرامته ، ومثل هذا يمكن أن يقال عن كثير من الأيديولوجيات الأخرى المعاصرة بما فى ذلك أيديولوجيات العالم الثالث .

لقد ادخل كارل مانهايم تعديلات على المفهوم السابق للأيديولوجية وأضاف اليه أن المعتقدات ترتبط بوضع المشاهد الذى يعيش فى بيئة ما . فخبرة الناس التى يكتسبونها فى المعيشـــة فى المجتمع هى التى تصـــوغ مفهومهم لطبيعة مصالحهم ، وبالتالى فانهم ينظرون الى المشاكل الاجتماعية على ضـــوء مصـــالحهم ، فمعتقداتهم اذن وأيديولوجياتهم هى انعكاسات لمصالحهم ولا يصح تناولها كشىء واقعى(١٦) .

ان الجدير بالملاحظة أن النتيجة التى انتهى اليها مانهايم من أن كل المعتقدات تتأثر بمصـــالح معتنقيها وبوضعهم الاجتمـــاعى تتفق مع رأى كارل ماركس القائل بأن الأفكار هى من خلق ظروف الحياة المادية المتغيرة. ويقر مانهايم أن المعيار الأسمى للخطأ والصـــواب يكمن فى اختبـــار الشىء ذاته وان كان يستدرك بأن ذلك الاختبار ليس عملا منعزلا بل يتم فى وضع يتأثر بالقيم والدوافع الارادية(١٧) .

وبغض النظر عن المفهوم الذى سيؤخذ به لاصـــلاح الأيديولوجية ، فان ما يمكن أن يسمى بمعتقدات أيديولوجية تزود معتنقيها بدوافع ومبررات للعمل مع ما يصحب ذلك من قواعد وتعاليم ، وعندما تشتمل تلك المعتقدات على ايدولوجية فانها ـــ اى المعتقدات ـــ لا تكون عشوائية فجة وانمـــا ترتبط ببعضها فى بناء فكرى متماسك .

٤ ـــ دور الأيديولوجية السياسية :

وقد يكون من الصعب تغطية كافة جوانب الأدوار التى تقوم بهـــا الأيديولوجية وذلك لأن كل نظام سياسى أو جماعة أو فرد قد يستهدف من الأيديولوجية المتبناة أهدافا معلنة كما قد تكون له أهدافا أخرى غير معلنة تتعدد وتتنوع بقدر ما فى هذا العالم ونظمه السياسية وجماعاته من تعقيد وتشابك . رغم ذلك نستعرض آراء بعض العلماء والكتاب حول مفاهيمهم للدور الذى تقوم به الأيديولوجية .

نلاحظ بالنسبة لمعظم دول العالم الثالث ـــ وهى التى تهمنا هنا ـــ التى استقلت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن الأيديولوجيات الجديدة التى تبنتها تتعدى مجرد كونها أطرا سياسية لتحقيق الاستقلال السياسى(١٨)

---

(١٦) Karl Mannheim, Ideology and Utopia (An Introduction to the Sociology of Knowledge), London 1960, first publ. 1936, pp. 49 ff.

(١٧) Ibid., p. 4.

(١٨) Paul E. Sigmund, Jr., ed., The Ideologies of the Developing Nations, New York and London, 1963, pp. 3 ff.

والمحافظة عليه فى مواجهة الاستعمار الجديد ورفع شعار الحياد الايجابى .. الخ . ويجد الدارس لتلك الأيديولوجيات انها تحتوى فى الأغلب على خطوط عريضة او تصورات لما تطمح اليه قيادات تلك الشعوب فى تحقيق ثورات مماثلة او على الأقل اصلاحات على الصعيد الاقتصادى والاجتماعى والثقافى سعيا وراء بناء الدولة الحديثة والتغلب على عوامل التمزق والتشرذم وبقايا الثقافةالتقليدية وان كان كل ذلك محكوم بالطبع بمدى تقدم أو تخلفالبيئة واخلاص النخبة التى تتصدى لهذه المهام الثقيلة من خلال الشعارات المطروحة والأيديولوجيات المتبناة .

ويعتبر تحقيق الأيديولوجية لحد أدنى من النجاح فى قيامها بالانجازات الاقتصادية والاجتماعية المرجوة وتحديث نظم التعليم والارتقاء بالثقافة وتوفير الأسس لتنشئة سياسية سليمة شرطا اساسيا لاستقرار النظام السياسى وزيادة الاتجاه نحو بناء الأمة وتدعيم الولاء للنخبات الجديدة التى تعتبر الأيديولوجية واجهة لها .

ليس اقل اهمية سواء بالنسبة للدول النامية أو للدول المتقدمة ما تقوم به الأيديولوجية فى مجال التغير الاجتماعى(١٩) وخاصة اذا تذكرنا الظروف الخاصة للقرن العشرين وما يتميز به من حدة المشاكل الاجتماعية وسرعة ايقاع الأحداث مما زاد من العلاقة الجدلية بين الحركات الأيديولوجية وبين التغيرات الاجتماعية. بالمثل، زاد الصراع الأيديولوجى نتيجة لعمليات الاحلال الاجتماعى التى حدثت فى أعقاب الثورات والحروب العالمية التى عرفها القرن العشرون والتى ادت فيما ادت اليه الى تغيرات مماثلة فى قدرة الطبقات الاجتماعية المختلفة . ويترتب على تلك التغيرات الأخيرة تخلخل فى مراكز وقدرات بعض النخبات وتدعيم لمواقع نخبات اخرى فى تلك المجتمعات . وغنى عن البيان ما تؤدى اليه عمليات التخلخل تلك من آثار بعيدة المدى على مصالح كل طرف منها وتنعكس بالتالى على الأيديولوجيات التى يتبناها كل جانب بعد تغليفها طبعا بشعارات ديمقراطية او دينية او اجتماعية حسب مقتضى الحال .

تلعب الايديولوجية دورا هاما ايضا فى الصراع من اجل السيطرة على عقل وفكر الجماعات والشعوب ليس فقط من اجل كسب حرب نفسية تدور حول مشكلة معينة وانما للضغط على الحكومات من الداخل او لتحييد بعض الجماعات المعادية او للترويج لتيار انهزامى يتوقف على انتشاره حسم

---

(١٩) Carle C. Zimmerman, "Ideological Movements and Social Change" in : Joseph S. Roucek, ed., Contemporary Political Ideologies, New Jersey 1961, pp. 3 - 19 ;

كذلك : محمد احمد الزعبى ، التغير الاجتماعى (بين علم الاجتماع البورجوازى وعلم الاجتماع الاشتراكى ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٨ .

نتيجة حرب أو صراع معين . ويضيف البعض(٢٠) أن الثورة المذهلة فى وسائل الاتصال قد مارست تحديا لا يقاوم لكثير من التقاليد الراسخة ، وقلبت بعض العقائد والمسلمات راسا على عقب ، واضفت طابعا أيديولوجيا فريدا على الصراع الثقافى بين الحضارات المتنافسة بحيث لم تعد هناك أية منظومة فكرية أو عقيدة بمنأى عن المنازعات الأيديولوجية الراهنة .

ثم نأتى الى ما يسمى بأيديولوجية الـ : Mass Society (٢١) والتى نسميها مؤقتا أيديولوجية مجتمع الجماهير لتعذر ترجمة عربية دقيقة . وللكاتب رأى غريب فى هذا الموضوع حول دور تلك الايديولوجية نمهد له بايجاز حتى يصير واضحا ، فقد كان خوزيه أورتيغا هو أول من استعمل هذا المصطلح mass man (hombre masa) عام ١٩٢٦ ليشير به الى نمط أو نموذج جديد للفرد المتوحد غير المشخص الذى انتجته الأوضاع المعاصرة . وهو مدين فى تنظير هذا النمط الى نظريات التحلل الثقافى والحضارى وان كانت آراءه أكثر تعبيرا عن مخاوف المفكرين المحافظين من المخاطر الحالية التى تهدد النخبات السياسية والثقافية من قبل ما أسماه بالحركات الجماهيرية والأيديولوجيات المتطرفة ، لقد كان أورتيغا — شأنه شأن شبنجلر — ينظر الى التكنولوجيا بانعدام ثقة بالغ . كما كان أورتيغا بالذات يتخوف من الأوضاع المخيفة المؤدية الى التمـــائل والتى تولد ذلك النمط الانســـانى الجديد .

ولعل أكثر ما يدعو الى قلق محللى تلك الأيديولوجية هو أن الاتجاه العام للبشرية يسير نحو المساواة الاجتماعية وانهيار التمايز والتفرد ، وان الثقافات المختلفة تتجه هى الأخرى أكثر فأكثر نحو فقد طابعها المميز . والمجتمع الحديث فى رأيهم هو محصلة الانهيار العام لعناصر الفصل أو العزل التى كانت تميز المجتمعات السابقة ، وهو النتيجة الموازية أيضا لفقد الشعور بالقداسة .

يصاحب النظرية الجـــديدة تطوير فكرة معاكسة للنظرية الليبرالية للفرد . ان النقيض للانسان الفردى العقلانى الحر ليس عضو القبيلة وانما هو ذلك النمط الانسانى الجديد . ورغم أن المفروض أن هذا الأخير يعيش فى الوسط أو البيئة المتقدمة لحضارة حديثة فانه فى الحقيقـــة لا ينتمى الى المجتمع المدنى فهو غير حر ويمكن خداعه واغترابه ، وهم يعرفون ذلك النمط الجـــديد بميله المفترض الى « المجمـــوع » أو « الجماهير » وهو صورتها المصغرة . انه يفتقر الى الفردية (بمعنى التمايز والتفرد) ، والحس الأخلاقى ، وسلامة التوجه . لهذا فهم يرون فيه البربرى الهمجى فى صورته الحديثة وان كان يختلف عن سابقيه الذين عرفهم التاريخ فى أنه لا يهدد الحضارة من الخارج وانما يتربص داخلها بشكل غادر وينخر أبدا رحمهـــا الرقيق . .

(٢٠) J. S. Roucek, ed., Preface to : Contemporary Political Ideologies, op. cit., p. IX.

(٢١) Salvador Giner, Mass Society, London 1976, pp. 258, 259.

اما الدور الشاذ للأيديولوجية الذى يراه المحللون والناقدون لهـذا التيار فيستند الى أن التكنولوجيا والرفاهية الاقتصادية والمساواة السياسية خلقت مجتمعا متجانسا اصبح الناس فيه ضـحية للقوى غير المشخصـة للبيروقراطية بينما صارت الأيديولوجية او ما اسموه التعصب الأيديولوجى هو ملجأهم الوحيد والمدمر من الخواء الأخلاقى الناتج من الالحاد وفقدان الاحساس(٢٢) .

يبقى الدور الهام الذى تقوم به الأيديولوجية بصفتها احد المكونات الهامة فى التحليل المقارن للنظم السياسية(٢٣) . وقد اعتبر روى ماكريس أن العناصر الثلاثة الأخرى التى تساعد على تلك المقارنة هى صنع القرار ، والقدرة ، والمؤسسات .

٥ ـ المصاعب والتحفظات التى تعترض استخدام الأيديولوجية السياسية :

هناك ولاشك مصاعب وتحفظات تعوق الاستعانة العلمية بالأيديولوجية فى المجالات السياسية نذكر منها :

ـ تعذر معرفة عدد المؤمنين حقيقة بأيديولوجيات سياسية ، وهـل يفهمون فعلا معنى تلك الايديولوجيات ومدى ذلك الفهم . كما يتعذر معرفة مدى تأثير الايمان بأيديولوجية ما على الفرد او على سياسة ما(٢٤) .

ـ تتسم المعتقدات التى تتكون منها الأيديولوجية بأنها ليست دقيقة دائما وانما على العكس من ذلك فانها غالبا ما تكون مبهمة وقابلة للتشكيل بطرق مختلفة حسب اختلاف العصر والأشخاص المؤمنين بها .

ـ قد يكون مفهوم شخص ما للأيديولوجية التى يعتنقها فى طريقه الى التغير ، هنا يتعين معرفة وقياس مدى التغير وسببه والاتجاه الذى يسير فيه.

ـ قد يفسر الأفراد الأيديولوجية التى يؤمنون بها تفسيرات متعددة قد تنتهى بالاتفاق أو قد تنحرف عن مفهومها ومسارها . وتبدو اهمية ذلك عندما تكون الأيديولوجية دليلا تسترشد به حركة سياسية ما حيث يصـبح للاتفاق او الاختلاف فى التفسير مغزى خاصا .

ويعتبر تاريخ الأديان والأيديولوجيات السياسية مجالا خصبا لمثـل تلك الدراسات حيث يدعى كل حزب أو تكتل أو فريق ان مفهومه للدين او

---

(٢٢) Ibid., pp. XI, XII, 74 - 76.

(٢٣) M. Rejai, ed., Decline of Ideology, op. cit., p. 12 ; also Roy Macridis, "A Survey of The Field of Comparative Government", in : H. Eckstein and D. Apter, eds., Comparative Politics (A Reader), New York and London 1963, pp. 43 ff.

(٢٤) H. Drucker, The Political Uses of Ideology, op. cit., p. XI.

المذهب هو المفهوم الوحيد الصحيح وما عداه مروق عن تعاليم السماء أو انحراف عن الخط السليم للمذهب السياسى مع ما يتبع ذلك من انقسامات وظهور فرق جديدة وحجج مضادة قد يصل الصراع بينها الى حد القطيعة أو اللجوء الى العنف .

لا يقتصر الغموض فقط على الأيديولوجيات نفسها وقابليتها للتفسير بطرق متعددة ، وانما ينسحب أيضا على الأوضاع التى تطبق فيها من حيث ما قد يشوبها من ارتباك وخلط . مثال ذلك وجهة النظر الماركسية التى ترى ان الأحداث التاريخية تتعرض لحركات مد وجزر ثورى . لمواجهة ذلك يخطط الماركسيون بوضع استراتيجيات معينة لمواجهة الأوضاع التى تسودها حالة من المد الثورى . كما يضعون استراتيجيات أخرى لمواجهة أوضاع الجزر الثورى ، لكن يثور الخلاف حول المعايير التى استخدمت للحكم على أوضاع ما بأنها تمثل حالة من المد أو الجزر الثورى ، ومدى امكانية الاعتماد على تلك المعايير ، وهو ما تعكسه الآراء المتباينة للماركسيين انفسهم حول الموضوع .

لهذا يتحتم على غير الماركسيين الذين يحاولون استخدام الأيدولوجية كطريقة للتفسير أو التنبؤ أن يهتموا ليس فقط بالطريقة التى يفسر بها الماركسيون — باتجاهاتهم المتعددة — المذهب الماركسى ، وانما أن يهتموا أيضا بأسلوب تعريفهم للوضع والخلفية اللذين يتم فيهما تطبيق ذلك المذهب .

قد تظهر مشكلة اخرى نتيجة انتماء الشخص لأيديولوجيات متعارضة مثل الليبرالية والماركسية من جانب علاوة على القومية من جانب آخر ، ورغم أن تلك الأيديولوجيات قد تتفق من عدة أوجه الا انه من المؤكد ان تظهر بعض التناقضات خلال الممارسة اليومية مما يدفع الفرد بشكل ما الى الاختيار بينها . فى تلك الحالة ، يجب ان يشمل تفسير سلوك ما او التنبؤ به تفسيرا أو تنبؤا بالاختيارات التى تمت بين الأيديولوجيات التى تتنافس على ولاء الفرد .

قد يكون من المستحسن تجنب الافتراض الذى يرى ان الاعتبارات الأيديولوجية تؤثر وتتحكم فى « كل الأفعال » ، فمشاعر الطموح او الرغبات الشخصية مثلا ليست لها طبيعة أيديولوجية ومع ذلك فهى تحل أحيانا محل الأيديولوجية فى التأثير على سلوك الفرد لدرجة ان الدوافع الشخصية للأشخاص الذين يحتلون مراكز سياسية حساسة قد تكون لها أهمية كبيرة فى تشكيل سير الأحداث . اى انه مع الاعتراف بأن معرفة الأيديولوجية أو الأيديولوجيات التى يؤمن بها الفرد مفيدة غالبا فى تفسير سلوكه أو التنبؤ به ، فان تلك المعرفة ليست دائما سهلة عند التطبيق(٢٥) .

(٢٥) V. van Dyke, Political Science, op. cit., pp. 175 - 178.

٦ ــ علاقة الأيديولوجية بالموضوعية وبالصراع بين تيارات الحقائق والقيم :

كما يتعذر أن تتخذ العلوم الاجتماعية بصفة عامة موقف الحياد من الأحداث والصراعات والقوى فى عالمنا المعاصر ، فانه يتعذر أيضا قبول الادعاء بقدرة المفكر على الالتزام بالموضوعية المطلقة لأن ذلك يفترض امكان تجرد الانسان تماما من الاعتبارات البيئية والانتماءات الشخصية . هذا مع التسليم طبعا ، بأن الحكم على قيمة الانتاج الفكرى يظل معلقا بمدى تمتعه بالحد الأدنى من الحياد المتعارف عليه وهو ما أدى فى النهاية الى الاعتراف بأن الموضوعية لايمكن أن تكون مطلقة وانما نسبية(٢٦) .

لهذا فان المثقف الذين يستعين بالأيديولوجيات السياسية المعاصرة كأداة هامة من الأدوات التى تساعد على دراسة وفهم الظواهر السياسية ، يجد نفسه مضطرا الى تحديد موقفه من الصراع المستعر بين تيارين ينادى أولهما (ممثلا اساسا فى الفلسفتين الوضعية والوضعية المنطقية) باستقلال العلم عن القيم كالحق والخير والجمال والحرية والايمان والسلام ... الخ، ويرفض الثانى ذلك للأسباب التى سنشرحها فيما يلى .

فالتيار الأول ينادى بعدم الاعتراف بما تعجز التجارب الحسية عن اثبات صحته أو وجوده . كما ينظر الى العلم نظرة جامدة تفصله تماما عن كل القيم التى يعتز بها الانسان السوى سواء أكانت قيما روحية أو أخلاقية أو جمالية . ويرفع لواء ذلك التيار علماء السياسة المحافظون وبعض الليبراليين الذين ينكرون دور العقل ولا يعترفون الا بما تسفر عنه التجارب

---

(٢٦) حول نسبية الموضوعية والقيود التى تحد منها وموقف التحليل العلمى من « الحقائق والقيم » والانفصال المنطقى بينهما والمدى الذى لا يمكن تجاوزه لامكان اطلاق الفاظ مثل موضوعى ومنهجى على الفروض والنظريات المبنية على أو المتأثرة بقيم معينة ، حول هذه الموضوعات انظر :

A. Brecht, Political Theory, op. cit., pp. 298 - 301 ; Carl J. Friedrich, Man and His Government (An Empirical Theory of Politics, New York 1963, pp. 67, 68 ; Max Weber on The Methodology of the Social Sciences, trans. and ed. E.A. Shils, H.A. Finch, New York 1949, pp. 1 - 47 ; T. Parsons, The Structure of Social Action, N.Y. 1937, pp. 593 - 597.

وللرجوع الى مصادر أحدث حول تطور ذلك الجدل انظر :

W.D. Hudson, ed., The Is-Ought Question, N.Y. 1969, especially John Searl's Article : «How to derive Ought from Is" pp. 120 - 134.

تكمن أهمية هذه المقالة الأخيرة فى أنها تحتوى هجوما مباشرا على الأسس الفلسفية لما يسمى بحياد العلوم الاجتماعية .

Cited by Fred M. Frohock, "Notes on the Concept of Politics : Weber, Easton, Strauss" in : The Journal of Politics, Vol. 36, No. 2, Gainsville Florida, Max 1974, pp. 379 - 381 ; cf. D.C. Schwartz, "Toward a More Relevant and Rigorous Political Science" in The Journal of Politics, Vol. 36, No. 1, Feb. 1974, p. 119 ; also Bernard Crick, In Defence of Politics, Middlesex England 1973, p. 190.

المعملية ، وان كانت تلك الأخيرة كما هو معروف لا تستطيع بحكم طبيعتها التحقق من وجود أو صحة تلك القيم .

يرفض التيار الثانى ذلك التعسف وينادى بدرجـــات متفاوتة بصعوبة الفصل التحكمى بين العلم والقيم . ويندرج تحت هذا التيار الثانى كثير من أتباع العقائد الايمانية ، والماركسيون ، وبعض الليبراليين الذين اكتشفوا عقم التيار الأول .

أدت تلك الصراعات فيما أدت اليه الى تعرض الفلسفة الســـياسية لأشكال كثيرة من الهجوم والنقد وخاصة فى أوائل القرن الحالى على أيدى أصحاب التيار الأول المطالبين بالتحرر من سطوة القيم فى الدراسات العلمية، من أمثال هؤلاء ماكس فيبر الذى وجدت كتاباته صدى كبيرا لدى عـــدد من علماء السياسة كأرنولد بريشت(٢٧) الذى يعد من أبرز من عبر عن اتجاه فيبر القائم على ضرورة استقلال العلم عن القيم أى التمييز بين عمليـــات التفسير والتقييم فى العلوم الاجتماعية وما يترتب عليه من الدعوة الى الحياد ازاء القـــيم .

كان من أهم أوجه النقد أن الفلسفة السياسية ما هى الا سلسلة من التفسيرات للأيديولوجيـــات ، وأنها تحمل تبريرات لأفكار مسبقة تمثل فى الغالب طبقة معينة أو أية مصالح أخرى . أى أن الفلسفة السياسية لا تقوم على الأسس العلمية للمشاهدة والوصف والقياس والتحليل وانما هى معيارية تشتمل فى رأيهم على قيم ومعايير مستهلكة .

الا أنه ليس هناك اتفاق على هذا الموقف حتى بين المفكرين الليبراليين أنفسهم . فكارل يواكيم فريدريش مثلا ، رغم تسليمه بأخطاء بعض الفروض التى وردت فى كتب أفلاطون الثلاثة الجمهـــورية والســـياسة والقوانين ، يتساءل متعجبا : هل كان أفلاطون مخطئا فى اصراره على أن القانون والحق هما المشكلتان اللتان تواجهان كل مجتمع سياسى ؟ يطرح ذلك موضوع العدالة ، ويفتح الباب على مصراعيه للتســـاؤل : ما هى الفضيلة وماهو المعيـــــار ؟(٢٨)

ويمكن القول انه بعد تجارب طويلة فى حقول دراساتهم الأكاديمية ، فان أعدادا متزايدة من هؤلاء المفكرين يبتعدون أكثر فأكثر عن الاتجاه المتطرف الذى ساد الأحقاب الأولى من القرن الحالى وبدأوا يسلمون باســـتحالة الفصل التحكمى بين حقلى التجريب والقيم .

---

(٢٧) A. Brecht, Political Theory, op. cit., pp. 3 - 162.

(٢٨) C. J. Friedrich, Man and His Government, op. cit., pp. 4, 5 ; cf. B. Crick, In Defence of Politics, op. cit., pp. 198, 199, 190 ff.

يحفل الأدب السياسي بالكثير من المرادفات فى هذا الشأن ، فقد جرت العـــادة على التمييز بين النظريات التى تقوم على التجريب وتلك التىتعتمد على القيم ، أو بين السلوكية ــ وهو التعبير الذى يستخـــدمه البعض فى الولايات المتحدة للأسلوب التجريبى ــ وبين الفلسفة السياسية ، ويحلو للبعض أحيانا أن يميزوا بين ما هو كائن ، وبين ما يجب أن يكون وهو شكل آخر لنفس الخلاف .

يسلم بعضالمفكرين بأن طوفانالكتابات حول هذا الخلاف المستعر بين المثقفين انما يعكس تمييزا مصطنعا بين وسائل المعرفة المختلفة لأن القرارات السياسيةهى بطبيعتها تتأثر بقيم صانعيها .

لهذا فانه لا داعى لافتراض وجود انقسام أو تعارض بين النظريات التجريبية وتلك المستمدة من القيم حيث أنها متكاملة وتعتمد كل منهـــا على الأخرى ، ان التفرقة بين مجالات التفسير والتقييم ليست بالوضوح الذى يتصوره البعض ، كما وأن الفصل بينهما ليس فى صالح أى منهما(٢٩) .

توضح كتابات أخرى نفس التمرد على المغالاة فى اتجاه النسبية حول هذا الموضوع وهو مايهمنا فى علاقته بدراسة الأيديولوجيات كمـــا سبقت الاشارة . وينصح هؤلاء بضرورة الاستفادة من الأسلوبين والدمج التـــام بينهما فى عملية تطوير نظريات تجريبية تسترشد بالقيم . يضيفون الى ذلك مزية أخرى وهى أنه بتطوير تلك النماذج التجريبية ذات القيم يساعد كل أسلوب منهما على كشف قصور الأسلوب الآخر ومن ثم يلفت الانتباه الى ضرورة تعديله وتحسينه(٣٠) .

ثم يصل النقد أقصاه بتعرية الادعاء بامكان وجود موضوعية كاملة فى البحث العلمى وعدم تأثر الباحث بأية اعتبارات بيئية أو قيم ذاتيـــة كما سبق ان ذكرنا . ففى الواقع العملى ، يقوم علماء السياسة باختيار وتنظيم المادة التى يستعملونها فى بحوثهم أو محاضراتهم ، وهم يحتاجون من أجل ذلك الى اجراء عمليات انتقاء حقيقة مادون حقيقة أخرى أو شكل تنظيمى معين دون شكل آخر أو خطة بحث دون أخرى وهكذا ، قد تكون عمليـــة الانتقاء عشوائية ولكنها فى الاغلب الأعم ليست كذلك وانما تحكمها معايير يأخذ بها كل باحث .

---

(٢٩) Frey M. Wirt, Morey, Brakeman, Introductory Problems in Political Research, Englewood Cliffs, N.J. 1970, pp. 2, 3 ; Stephen L. Wasby, Political Science, The Discipline and its Dimensions, An Introduction, New York 1970, p. 303.

(٣٠) Robert T. Golembiewski, et. al., A Methological Primer for Political Scientists, Chicago 1969, pp. 450 - 455.

وقد عبر عالم آخر عن ذلك بقوله انه رغم المطالبة ببحوث محايدة او خالية من القيم ، فان عدم وجود معيار متفق عليه لاختيار الموضوعات الهامة للدراسة يدفع العلماء الى اختيار موضوعات أخرى تتفق مع مصـــالحهم الخاصة ، واختيار المتغيرات التى يدرسونها من تلك الموضوعات .

« واذا كنا عاجزين عن تنحية قيمنا جانبا بشكل كامل فى اختيار ماندرس فان ذلك يبرز نقدا هاما هو أن التفرقة بين الحقائق والقيم تتنـــاقض مع تجربتنا الذاتية »(٣١) .

فى ختام هذا البحث نقول انه رغم التحفظات التى ترد على استخدام الأيديولوجيات السياسية ، ورغم الخلافات الحادة بين التيارات المدافعة عن أولوية الحقائق او القيم ، يجب عدم المغالاة فى الصعوبات التى تعترض الباحث أو رجل السياسة عند الاستعانة بها ، خاصة وانها اثبتت فائدة كبيرة فى تفسير الأسباب والخلفيات وراء قيام نظم الحكم فى الدول الرأسمالية والاشتراكية ، وكذلك شرح أسباب الحركات القومية التى اجتاحت أوربا ثم بقية انحاء العالم بعد ذلك .

ولاشك انه سيكون من دواعى الاســـتغراب أن يقوم باحث بتفسير مواقف القوى الكبرى فى المنظمات الدولية ، او وصف التطورات السياسية الهامة التى حدثت فى العالم خلال الأحقاب الماضية دون أن يشير مباشرة أو بشكل غير مباشر الى واحدة او اكثر من الأيديولوجيات السياسية لعالمنا المعـــاصر .

(٣١) Stephen Wasby, Political Science, op. cit., p. 28.